الصحابة عند مفسري الغرب الإسلامي

د. نورالدين قراط

ملخص البحث

إنه مـمـا ينبغي لفت الانتباه إليه والتوقف عنده قبل كل شيء، هو أن القرآن الكريم قـد تحدث عن السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مرات ومرات فهـو يحـدثنا تـارة عن بعضهم، وتارة أخرى عن مجموعهم، بل وفي بعض الأحيان يتحدث عـنهم مـن خـلال فئاتهم، والملفت أن ذكر الله لهم كان في كفة، وذكر من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين كان في كفة أخرى مساوية، ولعل السر في ذلك، أن الفترة الزمنية التي عاش فيها أولئك الـصحابة الأبرار الذين رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه، تساوى في أهميتهـا عـشرات الألـوف مـن السنين التي عاشها وسيعيشها من اتبعهم بإحسان من الملايين من كل البشر إلى يوم الديـن، وذلك من أجل أن يقدم للأمة المحمدية كلها نمـاذج حية ورائقة وفاعلة في الإسلام، حـتى يتعلموا منهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع وذلك لمتابعته مـن خـلال موارد ذكر الصحابة في آي القرآن الكريم، في مختلف مـراحلهم وظـروفهم كلهـا، وذلـك في إطار تفسيرات واستنباطات وتحليلات مفسري الغرب الإسلامي لهذه النـصوص القرآنيـة، كي نبرز حجم المساهمة التي قدمها مفسروا الغرب الإسلامي في هـذا المجـال، وذلـك مثـل: إيمـانهم بالله وبرسالة محمد ﷺ، وثناء الله عليهم بدون استثناء أحد منهم، ومدى صدقهم في تحملهم مسؤولية الدعوة، وأنهم أوذوا في سبيلها، وجهادهم في سبيل الله، بالإضافة إلى مـا كانوا يتصفون به من أخلاق سامقة، في كل حركاتهم وسكناتهم وفي معـاملاتهم كلهـا، حـتى صاروا أئمة في الصلاح والفوز إلى يوم الدين.

الباحث في سطور

الدكتور نور الدين قراط Karrat2001@hotmail.fr

- من مواليد عام 1968م.
- أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الأول كلية الآداب وجدة.
- دكتوراه في مقاصد الشريعة بكلية الآداب ـ وجدة.
- شارك في ندوات وملتقيات ودورات تدريبية وطنية ودولية عديدة.

من إنتاجه العلمي:

- القدس في وعي المسلمين.
- وقفات مع الدكتور الخمليشي في مقاله مساءلة النفس ومراجعة الذات.
- مقاصد الشريعة وأثرها في الاجتهاد الفقهي المعاصر.
- أولويات الأسرة المسلمة.
- التعليل المقاصدي في القرآن الكريم. الرفق في القرآن بين توابعه ومستلزماته..الخ.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ ليبين للناس على فترة من الرسل أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير، وجعل معجزته العظمى وحجته العليا كلامه الذي هو أحسن الحديث، خاتمة رسالاته إلى خلقه، والوحي الجامع المهيمن على جميع ما أنزل من قبل، المحيط بعلم الأولين والآخرين، الشافي لجميع أدواء البشر بأنجع دواء، الوافي بجميع حاجاتهم، الكافل لسعادتهم في الأولى والأخرى بأتم وأعظم وفاء، حتى بلغت أمة هذا الكتاب بفضل علمها به وتبعها له أسمى درجات الخيرية بين أمم الأرض﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ اِلْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]. فما الظن بكتاب بلغ من سمو هداه وشمول رحمته أنه يهدي للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَٰذَا اَلْقُرْءَانَ يَهْدِے لِلتِے هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ اُلْمُومِنِينَ اَلذِينَ يَعْمَلُونَ اَلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمُۥٓ أَجْراً كَبِيراً﴾[2].

ومن هذا المنطلق سرد علينا القرآن الكريم قصص السلف الصالح، وعلى رأسهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ مرات ومرات فهو يحدثنا تارة عن بعضهم، وتارة أخرى عن مجموعهم، وفي بعض الأحيان يتحدث عنهم من خلال فئاتهم، ولكن

(1) سورة آل عمران: الآية 110.

(2) سورة الإسراء: الآية 9.

الملفت في ذلك كله، أن ذكر الله لهؤلاء كان في كفة، وذكر من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين كان في كفة أخرى مساوية، وكأن الله يريد أن يقول عن هذه الفترة التي عاشها الصحابة، إنها تساوي في أهميتها عشرات الألوف من السنين التي عاشها وسيعيشها من اتبعهم بإحسان من الملايين من كل البشر إلى يوم الدين، ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع وذلك لمتابعته من خلال موارد ذكر الصحابة في آي القرآن الكريم، أو بالأحرى في بعض آي القرآن. وذلك في مختلف مراحلهم وظروفهم كلها، معتمدا على تفسيرات واستنباطات وتحليلات مفسري الغرب الإسلامي لهذه النصوص القرآنية، كي نبرز مكانة الصحابة في القرآن الكريم، ونبرز من جهة أخرى حجم المساهمة التي قدمها مفسرو الغرب الإسلامي في هذا المجال.

أما فيما يتعلق بالطريقة التي سأسلكها في تقريب مضامين هذا الموضوع فهي كالتالي:

تقديم.

- حقيقة الصحبة في القرآن الكريم.
- شهادات القرآن الكريم في الصحابة.
  - الشهادة الأولى: أثنى الله عليهم جميعا.
  - الشهادة الثانية: كونهم يسارعون إلى تلبية نداء الحق.
  - الشهادة الثالثة: زكى الله عباداتهم.
  - الشهادة الرابعة: أثنى الله على جهادهم في نشر دعوة الحق والدفاع عنها.
  - الشهادة الخامسة رضي الله عنهم ورضوا عنه.

❁ حقيقة الصحبة في القرآن الكريم.

إن المحور الذي يدور عليه فلك مادة: «صحب» في القرآن الكريم هو المعاشرة والملازمة المتحققة بالاجتماع واللقاء واللبث، دون النظر إلى وحدة الاعتقاد أو وحدة السلوك، وهي أنواع:

› **أولاً**: الصحبة بين مؤمنين: قال تعالى حكاية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديثه مع العبد الصالح ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾[1]. فقد عدل الخضر جوابه إلى المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد للسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده[2].

› **ثانياً**: الصحبة بالمعروف بين الأبناء والآباء بغض النظر عن اختلافهم في الدين، يقال صاحبته مصاحبة ومصاحبا..[3]. قال تعالى ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[4].

› **ثالثاً**: الصحبة بين رفيقي سفر[5]: قال تعالى﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾[6].

› **رابعاً**: الصحبة بين قائد ومقود: قال تعالى﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[7].. والصاحب هنا هو أبو بكر

---

(1) سورة الكهف: الآية 75.

(2) التحرير والتنوير (17/ 6).

(3) الجامع لأحكام القرآن (14/ 65).

(4) سورة لقمان: الآية 14.

(5) التحرير والتنوير (17/ 6 4).

(6) سورة النساء: الآية 36.

(7) سورة التوبة: الآية 40.

الصديق ﷺ. المتصف بهذه الصحبة، ومنه سميت الزوجة صاحبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[1] قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع. ومن أنكر أن يكون أبو بكر ﷺ صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر؛ لأنه رد نص القرآن[2]. وليس ذلك لسائر الصحابة[3].

> **خامساً**: الصحبة بين إنسانين مختلفين في الدين: قال تعالى﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا... قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾[4] والصاحب هنا بمعنى المقارن[5]. في الذكر حيث انتظمهما خبر المثل، أو أريد به الملابس[6] المخاصم[7].

> **سادساً**: الصحبة بين النبي ﷺ وأمته، بغض النظر عن الدين. قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[8]. أي ما ضل محمد ﷺ عن الحق وما حاد عنه[9]، لأنه خطاب للمشركين.

---

(1) سورة الأنعام: الآية101 .

(2) تفسير القرطبي (8/ 78).

(3) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط (5/ 43).

(4) سورة الكهف: الآيات 24-26.

(5) أي: كون الانسان مثله في الجنس أو مثله في الوظيفة لأن كليهما يقوم على الجنة..

(6) الملابس هو المخالط له في المعاشرة أو الحركة الحياتية أو المهنية، والمخاصم الذي تحول إلى خصمه، وقد نص عليه القرآن أنه يتباهى عليه.

(7) التحرير والتنوير (17/ 320).

(8) سورة النجم: الآية 2.

(9) تفسير القرطبي (17/ 79).

> **سابعاً**: الصحبة بين الكافرين فيما بينهم. قال تعالى ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[1]. وعبر بصاحبهم للإشارة إلى أنهم راضون بفعله إذ هم مصاحبون له وممالئون[2] أي: متفرقون.

> **ثامنا**: الصحبة بمعنى أللبث والمكوث ومنها: أصحاب الجنة، وأصحاب النار. قال تعالى﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾[3].

> **تاسعا**: العلاقة الاضطرارية الوقتية وذلك مثل ما جاء في خطاب يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لصاحبيه في السجن: يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ[4].

هذه هي أهم اطلاقات الصاحب كما وردت في القرآن الكريم. وبالتوفيق بينها وبين المعاني التي يذكرها اللغويون[5]، يكون معنى الصاحب هو: من تأت مرافقته ومعاشرته بوجه من الوجوه دامت واستمرت أو لم تدم.

---

(1) سورة القمر: الآية 29.

(2) التحرير والتنوير (28/ 202).

(3) الأعراف: الآية 43.

(4) يوسف: الآية 39.

(5) قال الخليل الفراهيدي: كلّ شيء لاءَم شيئاً فقد استصحبه، والصحابة: مصدر صاحَبَكَ، الصاحب يكون في حالٍ نعتاً ولكنّه عمّ في الكلام فجرى مجرى الاسم. ترتيب كتاب العين، للفراهيدي(ص440)، وقال الجوهري: كلّ شيء لاءَم شيئاً فقد استصحبه. اصطحب القوم: صَحِبَ بعضهم بعضاً. أصحب: إذا انقاد بعد صعوبة. وقال الراغب الأَصفهاني: الصاحب: الملازم... ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة. ويقال لمالك الشيء: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرّف فيه. والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع، لأَجل أنّ المصاحبة تقتضي طول لبثة، فكل اصطحاب اجتماع، وليس كل اجتماع اصطحاباً. مفردات ألفاظ القرآن(ص275).

❁ المعنى الاصطلاحي للصحابي:

وأما إطلاقه في الاصطلاح، فإنه حاصل ما تضمنته عبارات العلماء العديدة في هذا المقام: أن الصحابي هو كلّ من جالس النبي ﷺ. ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عَلَيْهِ السَّلَامُ أمراً يعيه، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عَلَيْهِ السَّلَامُ باستحقاقه[1].

فالصحابي إذن هو: كل من آمن به صلى الله عليه وسلم وصدقه واتبعه على ذلك - أي التصديق - في حياته ومات على ذلك. وهم يتفاوتون في مدى الصحبة ومدى الصلة برسول الله ﷺ، ولكن الجامع المشترك بينهم يصدق عليهم جميعا أنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

هؤلاء الأعلام إنما استحقوا الصحبة نظرا لما عرفوه من أحوال النبي ﷺ مما جعلهم يهرعون إليه ويضعون مقاليدهم بين يديه، ينغمسون في فيضه الذي بهر منهم الأبصار وأزال عنهم الأكدار، وصيرهم أهلا لمجالسته ومحادثته ومرافقته ومخالطته، حتى آثروه على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم، وبلغ من محبتهم له وإيثارهم الموت في سبيله أن هان عليهم اقتحام المنية كراهة أن يجدوه في موقف مؤذ أو كربة يغض من قدره[2]، حتى إنهم لكثرة هذه المخالطة له صلى الله عليه وسلم والمعرفة بأحواله كلها أصبحوا هم في مجموعهم لا في جميعهم ترجمان الوحي والمعرفة بخصائصه ومواقع التنزيل له بحسب الحاجة والواقعة والنازلة ما جعلهم في بعض الأحيان يستصدرون الأحكام من غير الحاجة إلى ذكر مرجعهم النصي فيها نظرا لما أصبح يؤهلهم من هذه الملكة الفقهية الموروثة عما ذكرناه سابقا من أحواله ﷺ .

---

(1) تفسير القرطبي (8/ 160)، الإحكام في أصول الأحكام (5/ 86).
(2) الإصابة (1 / 7)، أسد الغابة (1 / 18).

☒ شهادات القرآن في الصحابة رضوان الله عليهم

إن الآيات التي تحدثت عن أصحاب رسول الله ﷺ تنقسم إلى قسمين:

قسم: تضمن شهادة من الله إلى أصحاب رسوله ﷺ عموما، بقطع النظر عن السابقين منهم، واختلاف درجاتهم، وبقطع النظر عن مشاهد معينة، هي شهادة خلدها بيان الله لهم.

وقسم: تحدث فيه القرآن عن فئة من الصحابة في مناسبات ومشاهد وظروف معينة وخاصة.

هذا ومن اللاّفت للنظر أن هذين النوعين يتنوعان إلى فئتين:

> **فئة**: ثبتت لهم الصحبة وحدها أي: ليس بينهم وبين الرسول ﷺ رحم.

> **وفئة**: ثبتت لهم الصحبة، وهم في الوقت ذاته يتمتعون بمزية أخرى وهي النسب وهم من آل البيت﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً اِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبِيٰ ﴾(1).

هؤلاء الصحابة جميعا صاغهم الحق سبحانه أعظم صياغة، ليكونوا ورثة نبيه وحملة رسالته من بعده. قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلاَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلِايمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾(2).

فلكي يتأهلوا لشرف صحبة المعصوم صلى الله عليه وسلم أعدهم الله ذلك الإعداد الرفيع، فحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدون كما تنطق الآية الكريمة.

---

(1) سورة الشورى: الآية21 .

(2) سورة الحجرات: الآية 7.

هؤلاء يتفاوتون في مدى الصحبة لكنهم مشتركون جميعا في صفة، وهي أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، والقرآن حين يتحدث عنهم، يتحدث عن كل من ثبتت له الصحبة لرسول الله ﷺ، وهذا ما سيتبين لنا من خلال الشهادات التالية:

❁الشهادة الأولى: ثناء الله عليهم جميعا.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[1].

> الشهادة **الأولى** للحبيب محمد ﷺ.

> **والشهادة الثانية** إلى من ثبتت له الصحبة لرسول الله وهو مومن ومات على ذلك، بغض النظر عن اختلاف درجاتهم. وهذا ما يفيده حرف «معه»: الذي يعني المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد، وهو الرأي الذي رجحه الجمهور[2]. والصحابة عرفوا بصدق ما عاهدوا عليه الله، ولذلك لما انهزم المسلمون يوم حنين قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: ناد يا أصل السمرة[3]. هؤلاء الذين ثبتت لهم الصحبة، اتصفوا بصفات، منها:

---

(1) سورة الفتح: الآية 29.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5/ 143).

(3) المقصود هنا شجرة الرضوان، يقول ابن منظور السمرة هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري (2 / 198)، ولسان العرب لابن منظور (4/ 379).

الصفة الأولى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: وهي صلابة المعاملة وقساوتها، وهي الشدة في قتالهم[1]. وإظهار العداوة لهم في حَرْبهم[2]، وذلك لأنهم:

- **أولا:** كفروا بالله وعادوه ولم يؤمنوا به ولم يجيبوه، والله يبغضهم لذلك فهم إذاً غلاظ عليهم لذلك.

- **ثانيا:** أن **الغلظة** والشدة قد تكون سببا في هدايتهم لأنهم يتألمون بها، ويرون خلافها مع المسلمين فيسلمون فيرحمون ويفوزون[3].

- **ثالثا: المؤمنون** الذين كانوا مع النبي ﷺ كانوا فئة الحق، فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله. والبغض والحب في الله من الإيمان، ولذلك كان أكثر الصحابة محاورة في إباء صلح الحديبية يومئذ، وعلى رأسهم أشد أشدائهم على الكفار، عمر بن الخطاب، بينما أبو بكر كان أفهمهم للمصلحة التي توخاها النبيﷺ في إبرام هذا الصلح، وقد قال سهل بن حنيف يوم صفين: أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتنا يوم أبي جندل ، ولو نستطيع أن نرد على رسول الله فعله لرددناه، والله ورسوله أعلم[4].

---

(1) هذا بالنسبة للمحارب والمقاتل للمسلمين، والمخرج لهم من ديارهم، وصاد لهم عن دينهم، أما من كان مسالما غير محارب فلا، وإلى هذا يشير القرآن بقوله: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. (الممتحنة: الآية 8).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12 / 161).

(3) أيسر التفاسير (5/ 116).

(4) التحرير والتنوير (27/ 20).

الصفة الثانية: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد[1]. قال قتادة: ألقى الله في قلوبهم الرحمة لبعضهم من بعض[2]. وبلغ من تراحمهم فيما بينهم: أنهم كانوا لا يرى مؤمنٌ مؤمناً إلا صافحه وعانقه وهذا الوصف الذي مَدَحَ الله به الصحابةَ رضي الله عنهم مطلوبٌ من جميع المؤمنين، لقوله صلى الله عليه وسلم «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمَّى»[3]. وقال أيضاً: «نَظَرُ الرجل إلى أخيهِ شوقاً خيراً من اعتكاف سَنَة في مسجِدِي هذا»[4].

وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الروية. ـ بمعنى الامعان في النظر والتأني ـ.

وفي تعليق «رحماء» مع ظرف (بين) المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف هو إليه تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعا[5]، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَاتِي اِ۬للَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى اَ۬لْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى اَ۬لْكَٰفِرِينَ﴾[6].

---

(1) أيسر التفاسير (5/ 117).

(2) الهداية إلى بلوغ النهاية (11/ 6974)

(3) صحيح البخاري:(5/ 2238/ ح5665) كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

(4) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12/ 162).

(5) التحرير والتنوير (27/ 205).

(6) سورة المائدة: الآية 56.

الصفة الثالثة: ﴿رُكَّعاً سُجَّداً﴾: دليل على كثرة ذلك منهم وهذه السيمة كما قال مالك بن أنس: كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب[1]. بحيث تُشاهدُهم حال كونهم راكعين ساجدين؛ لمواظبتهم على الصلوات، أو: على قيام الليل، كما قال مَن شاهد حالهم: رهبان بالليل أُسدٌ بالنهار[2].

الصفة الرابعة: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾: أي يطلبون بالركوع والسجود ثوابا من ربهم هو الجنة ورضوانا هو رضاه عز وجل.

الصفة الخامسة: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنَ اَثَرِ اِلسُّجُودِ﴾ أي: نور وبياض يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا في الدنيا[3].

وفي نفس السياق جاءت صفات أخرى متممة لهذه الصفات، في سورة الحشر قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ اِلْمُهَاجِرِينَ اَلذِينَ اُخْرِجُواْ مِن دِيٰرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اَللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اَللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَالذِينَ تَبَوَّءُو اُلدَّارَ وَالِايمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ اُوتُواْ وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

ومن أهم الأشياء التي جعلها الله في أصحاب رسوله ﷺ، هذه الصفات، التي نتمنى أن نتصف بعشرها أو بشيء مهما قل منها.

---

(1) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط الأندلسي (8/ 103).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12 / 162).

(3) أيسر التفاسير (5 / 118).

(4) سورة الحشر: الآيات: 9-8 .

الصفة السادسة ﴿يَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾. ببذل الغالي والنفيس لقوة اليقين إذ علامة وجدان[1]. اليقين ظهور أثره على الجوارح بحيث لا تمكن حركاتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم[2].

الصفة السابعة: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ حتى شاطروهم أموالهم، وأنزلوهم منازلهم، ونزل مَن كانت له امرأتان عن إحداهما ليتزوجها المهاجري، ومحبتهم للمهاجرين من حيث هجرتهم لنصرة الدين لشدة محبتهم للإيمان[3].

الصفة الثامنة: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. لمكان الفتوّة وكمال المروءة ولقوة التوحيد والاحتراز عن حظ النفس وخوف الرجوع إلى المطالب الجزئية بعد وجدان الذوق من المطالب الكلية[4].من ذلك قصة الأنصاري مع ضيف الرسول ﷺ، حيث لم يكن لهم إلا ما يأكل الصبية، فأوهمهم أنه يأكل حتى أكل الضيف، فقال له الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «عجب الله من فعلكما البارحة» فالآية مشيرة إلى ذلك. وروي غير ذلك في إيثارهم[5]. وهذا ما دل عليه اسم الإشارة من

---

(1) وللاحظة ابن عربي واستعماله للألفاظ يدل بعضها على تبين النفس الصوفي الفلسفي لأنه استعمل وجدان بدل وجود لأن التعبير بالوجود يستعمله الواصف من الخارج وهو يغلب عليه الحديث عن الحقائق من الداخل، وهنا الفرق بين وجدان ووجود كما في عبارة على مقتضى شاهدهم بدل مشاهدتهم فإنه يفرق بين الشاهد المباشر الإشراق الداخلي وبين المشاهدة التي يغلب عليها الوصف من الخارج، هذا للتنبيه فقط على ما غلب على الرجل في مجال الكتابة.

(2) تفسير القرآن (2/ 309).

(3) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (13/ 61).

(4) تفسير القرآن (2/ 310).

(5) البحر المحيط (8/ 248).

تعظيم لشأنهم، وتنبيه على أن استحقاقهم وصف الصادقين لأجل ما سبق اسم الإشارة من الصفات وهي أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وابتغاؤهم فضلا من الله ورضوانا ونصرهم الله ورسوله[1]. وكان خُلق الكثيرين منهم بعد الهجرة كما فعل الصديق رضي الله عنه حين تصدق بكل ماله فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال رضي الله عنه: أبقيت لهم الله ورسوله، وكذلك عائشة الصديقة رضي الله عنها حينما كانت صائمة، وليس عندها سوى قرص من الشعير وجاء سائل فقالت لبريرة : ادفعي إليه ما عندك، فقالت لها: ليس إلا ما ستفطرين عليه، فقالت لها: ادفعيه إليه، ولعل أحوج إليه الآن، أو كما قالت .ولما جاء المغرب أهدى إليهم رجل شاة بقرامها[2]. فقالت لبريرة: كلي هذا خير من قرصك. وكما فعل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تصدق بالعير وما تحمله من تجارة حين قدمت، والرسول ﷺ يخطب يوم الجمعة فخرج الناس إليها. فعلى هذا كان مجتمع المدينة في عهده ﷺ مجتمعا متكافلا بعضهم أولياء بعض، وقد نوه ﷺ في قصة غنائم حنين بفضل كلا الفريقين في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار». ومن بعده عمر رضي الله عنه قال: وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان، من قبل أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم. ثم كان هذا خلق المهاجرين والأنصار جميعا، كما وقع في وقعة اليرموك، قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به فقلت له: أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه آه،

---

(1) التحرير والتنوير (29/ 89).

(2) القرام: هو ما كانت العرب تفعله إذا أرادوا شواء شاة طلوها من الخارج بالعجين حفظا لها من رماد الجمر.

فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول آه آه، فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات[1].

هذه الشهادة تشمل كل أصحاب رسول الله ﷺ[2]، على الرغم من أن منطوق هذه الأوصاف يدل بمفهومه أنه خاص بالمهاجرين، ومع ذلك فهو عام نظرا لوجود نصوص أخرى تدل على مشاركة الأنصار لهم فيه، منها قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[3]. وقوله بعدها: ﴿وَٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُومِنُونَ حَقّاً﴾[4].

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 44).

(2) إن مشكلة البعض أنه لا يبحث إلا عن النقائص والعيوب فقط، على الرغم من أننا مطالبون بالإنصاف ونحن نمارس هذا اللون من النقد لمن هو أهلا لذلك. قال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ إِعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ سورة المائدة: 8. وإذا أنصف الإنسان حمله إنصافه على أن يعرف قدر الخطأ، فلا يعطيه أكبر من حقه، كما لا ينسى سابقة قائله، وظروفه التي حملته على فعله، ولا يغيبن عنك فعل حاطب بن أبي بلتعة وكيف أن عقوبته منع من ترتبها عليه مشهده العظيم يوم بدر، قال ابن القيم: «من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل منه ما لا يُحتمل من غيره ويعفى عنه ما لا يعفى من غيره فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث.. وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أن من له ألوف الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين وكما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع».

مفتاح دار السعادة (1/ 177).

(3) سورة الأنفال: الآية 72.

(4) سورة الأنفال: الآية 74.

فذكر المهاجرين بالجهاد بالمال والنفس، وذكر معهم الأنصار بالإيواء والنصر، ووصف الفريقين معا بولاية بعضهم لبعض، وأثبت لهم معا حقيقة الإيمان، فاستوى الأنصار مع المهاجرين[1].

ولنواصل خاتمة هذه الأوصاف: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ... ﴾.
فشبههم الله في الإنجيل بالزرع الذي أخرج فراخه، وذلك أنهم في أول دخولهم الإسلام كانوا عدداً قليلاً كالزرع في أول ما يخرج، ثم جعلوا يتزايدون ويكثرون، كالزرع إذا أخرج فراخه فكثر وعظم بها، ونما، فيكون الأصل ثلاثين وأربعين وأكثر بالفراخ فكذلك أصحاب النبي ﷺ كانوا قليلاً ثم تزايدوا وكثروا فكانت هذه صفتهم في التوراة والإنجيل من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض فكان مثلهم في التوراة غير مثلهم في الإنجيل، هذا قول أكثر المفسرين، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ وهو مَثَلٌ ضربه الله لأصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، بتَرَقي أمرهم يوما بيوم، بحيث أعجب الناسَ أمرهم، فكان الإسلام يتقوّى كما تقوى الطاقة من الزرع، بما يحتفّ بها مما يتولّد منها[2]. والمَثَل شامل للنبي ﷺ وللصحابة، فإنّ النبي ﷺ بُعِث وحده، فهو الزرع، حَبّة واحدة، ثم كثُر المسلمون، فهم كالشطْءِ، تَقَوّى بهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]. ثم قال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: وعد الله الذين صدقوا محمداً وعملوا الأعمال الصالحات من أصحاب محمد أجراً عظيما ففضلهم بذلك على غيرهم[4].

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 190-191).
(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12/ 162).
(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5/ 143).
(4) الهداية إلى بلوغ النهاية (11/ 6980).

روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ حتى بلغ ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، إنهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾. وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم[1]. وقال رسول الله ﷺ: اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ[2] أي اتقوا الله فيهم، ولا تلمزوهم بسوء، أو اذكروا الله فيهم وفي تعظيمهم وتوقيرهم، وكرره إيذانا بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص (لا تتخذوهم غرضا) هدفا ترموهم بقبيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهام هو تشبيه بليغ (بعدي) أي بعد وفاتي» ا.هـ[3] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ مَن سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[4].

هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[5] هم أصحاب محمد ﷺ[6] وقال سفيان في قوله عز وجل

---

(1) تفسير القرطبي (16/ 269 -272).

(2) رواه أحمد (5/ 54)، والترمذي (ح3862)، والبيهقي في الشعب (2/ 191).

(3) فيض القدير المناوي (2/ 98).

(4) رواه الطبراني في الكبير (12/ 142)، وفي الدعاء (2108) والخلال في السنة.

(5) سورة النمل: الآية 59.

(6) رواه الطبري(20/ 2)، والبزار، وانظر: تفسير ابن كثير (3/ 370)، الاستيعاب(1/ 13)، تفسير القرطبي (13/ 220)، وبذلك فسرها سفيان الثوري. كما رواه عنه أبو نعيم في الحلية (7/ 77)، وابن عساكر (23/ 463).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] قال: هم أصحاب محمد ﷺ[2]. وعن وهب بن منبه: في قوله تعالى ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[3] قال هم أصحاب محمد ﷺ[4]. وقال قتادة في قوله تعالى ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[5]. هم أصحاب محمد ﷺ آمنوا بكتاب الله وعملوا بما فيه[6].

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة، فحذار من الوقوع في أحد منهم، فهم ممن مدحهم الله ووصفهم وأثنى عليهم ووعدهم مغفرة وأجرا عظيما.

وعن عمر بن حبيب قال: حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث على رسول الله ﷺ؛ لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي ﷺ وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن فقلت: اللهم إنك تعلم أني دافعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه. فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب،

---

(1) سورة الرعد: الآية 29.

(2) رواه سعيد بن منصور (5/ 435).

(3) سورة عبس: الآية 16.

(4) رواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في تفسير ابن كثير(4/ 472)، الدر المنثور(8/ 418).

(5) سورة البقرة: الآية 120.

(6) فتح الباري لابن حجر(13/ 508).

حاسر عن ذراعيه، بيده السيف وبين يديه النطع، فلما بصر بي قال لي: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول فرجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله، وأمر لي بعشرة آلاف درهم .علما بأن هذه الروايات التاريخية وما يشبهها عن الرشيد يحتاج إلى تمحيص دقيق لما يشبه أنها مصوغة بنوع من الحنكة للتحامل على الرشيد، ولا أدل على ذلك من السيف والنطع أمامه وغير ذلك من الأمور الأخرى.

فالصحابة إذن كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم[1].

وهنا نتساءل سؤالا ، هل الصحابة معصومون؟

في معتقد أهل السنة والجماعة أنه لا عصمة لأحد سوى الأنبياء. وكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، ولا يعرف الإسلام منح القداسة لأحد بما يبرر لنا الحجر على أي رأي يتناول بالدراسة والنقد تاريخ أحد، غير أن هذه الحرية المطلقة في جرح وتعديل الأشخاص - والتي لها مئات الشواهد في كتب الفرق وكتب الرجال - هي حرية «بصيرة»، وليست منصة يعتليها البعض للتهكم والمغالطة واجترار الأكاذيب المفضوحة، وهدم مناهج البحث العلمي على مذبح الروايات الشاذة والأحاديث المنكرة .

(1) تفسير القرطبي (16/ 269 -272).

عدالة الصحابة لا تعني أنهم معصومون من الأخطاء والسهو والنسيان، ولا أنهم في مرتبة واحدة من الفضل، ولا تنفي عنهم ما صح من انتقاد بعضهم بعضاً، وإنما تثبت لهم استقامة في الدين، وسلامة في الخلق تمنعهم من تعمد الكذب على المعصوم ﷺ. فرد التهمة عن الصحابي هنا واجب حماية للدين ورحمة بالمتدينين أن يلتبس الأمر عليهم.

لهم هذه المزية وإن عصوا الله. ومن هنا قال الإمام الشاطبي إن سنة الصحابة رضي الله عنهم يعمل بها ويرجع إليها. واستدل لهذا الرأي بمجموعة من الأدلة:

➢ **الأول**: ثناء الله عليهم من غير مَثنَوية[1]. ومَدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي الثانية إثبات العدالة مطلقا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى...

➢ **الثاني**: ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الإتباع كسنة النبي ﷺ، كقوله «... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ »[4]...

---

(1) المثنوية هي النظرة الفلسفية التي ترى أن هناك وجودا لمصطلحين أساسيين، غالبا ما يكونا متعاكسين، مثل الخير والشر، النور والظلام، الذكر والأنثى.

(2) سورة آل عمران: الآية 110.

(3) سورة البقرة: الآية 143.

(4) أخرجه أحمد في المسند برقم(17275)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم(4594) والترمذي في كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، رقم(2815). وقال حديث حسن صحيح.

➢ **الثالث**: أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقوال، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة.

➢ **الرابع**: ما جاء في الأحاديث من إيجاب محبتهم، وذم من أبغضهم، وأن من أحبهم فقد أحب النبي ﷺ، ومن أبغضهم فقد أبغض النبي ﷺ، وما ذاك من جهة كونه رأوه أو جاوروه أو حاوروه فقط إذ لا مزية في ذلك، وإنما هو لشدة متابعتهم له، وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته، وحمايته ونصرته، ومن كان بهذه المثابة حقيق أن يُتخَذ قدوة وتجعل سيرته قبلة، ولما بالغ مالك في هذا المعنى بالنسبة إلى الصحابة أو من اهتدى بهديهم، واستن بسنتهم جعله الله تعالى قدوة لغيره في ذلك، فقد كان المعاصرون لمالك يتبعون آثاره، ويقتفون بأفعاله، ببركة أتباعه لمن أثنى الله ورسوله عليهم، وجعلهم قدوة أو من اتبعهم رضي الله عنهم ورضوا عنه...»(1).

❁ الشهادة الثانية: سارعوا إلى تلبية نداء الحق والإيمان.

على الرغم من أن أكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد ولدوا في الجاهلية، والكل يعرف مدى عمق المنحدر الذي هوَت إليه العقلية الإنسانية يومها، ومدى الانحلال السلوكي الذي عاناه الإنسان، لدرجة كانوا يعبدون الأصنام التي ينحتونها بأيديهم، وكان أصحاب النفوذ يتسلّطون على رقاب الضعفاء، والحروب لا تكاد تنتهي، ووأد البنات كان عملاً يُحمد عليه صاحبه، وبيوت البغاء كانت تعلوها رايات خاصة، وهكذا لا تكاد ترى غير الفوضى والضياع في كل مكان من أماكن هذا

---

(1) الموافقات للإمام الشاطبي(4/ 48).

المجتمع، ومع ذلك، فإن أكثرهم سارعوا إلى تلبية دعوة محمد ﷺ، قال تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾[1]. فالفاء في قوله ﴿فَـَٔامَنَّا﴾ مؤذن بتعجيل القبول وتسبيب الإيمان عن السماع من غير تراخ[2]. ولعل هذا هو السر في مخاطبتهم من قبل الحق بوصف الإيمان، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيءُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُومِنِينَ﴾[3]. وقوله ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].وقوله ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّنْ يَّنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُومِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً﴾[5]. وقوله ﴿إِذْ جَعَلَ الذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُومِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[6]. وفي خروج النبي ﷺ وهجرته مع أصحابه من مكة إلى المدينة قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُومِنُواْ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَّفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾[7].

---

(1) سورة آل عمران: الآية 193.

(2) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط محمد بن يوسف الأندلسي (3/ 142).

(3) سورة آل عمران: الآية 68.

(4) سورة التوبة: الآية 89.

(5) سورة الفتح: الآية 12.

(6) سورة الفتح: الآية 26.

(7) سورة الممتحنة: الآية1.

ومـمـا تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن إيمـان الصحابة رضوان الله علـيهم كـان في ازدياد دائـم، كمـا قـال تعـالى ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1].

أي: أنهم قبل نزول السورة لم يكن لزمهم فرض مـا في السورة التـي نزلـت. فلمـا نزلت قبلوها والتزموا مـا فيها من فرض، فذلك زيادة في إيمـانهم الأول. وقال الربيع: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: خشية[2]. وذلك لما يتجدد عندهم مـن البراهـين والأدلـة عند نزول كل آية[3]. لأن قلوب الصحابة كانت نيرة، وسرائرهم كانت صافية، بخلاف قلوب المنافقين[4]. ولما كان الاستفهام في قولهم «أَيُّكُمْ» للاستهزاء كان متضمنا معنـى إنكار أن يكون نزول سور القرآن يزيد سامعيها إيمـانا توهمـا منهم بأن مـا لا يزيـدهم إيمـانا لا يزيد غيرهم إيمـانا، يقيسون على أحوال قلوبهم. أجيب عنهم بهذا التفـصيل المتفرع عليه، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمـان بعض الناس وأكثر مـن الزيـادة، وهـو حصول البشر لهم. وارتقي في الجواب عن مقصدهم من الإنكـار بـأن الـسورة ليـست منفيا عنها زيادة في إيمـان بعض الناس فقط، بل الأمر أشد إذ هـي زائـدة في كفـرهم، فالقسم الأول المؤمنون زادتهم إيمـانا وأكسبتهم بشرى. والقسم الثاني الذين في قلوبهم مرض زادتهم رجسا إلى رجسهم ومـاتوا وهم كافرون[5].

والقرآن قد صرح في غير مـا موضع، بأنه يزيد المؤمنين إيمـانا قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ

(1) سورة التوبة: الآية 124.
(2) الهداية إلى بلوغ النهاية (4/ 3195).
(3) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 478).
(4) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(6/ 143).
(5) التحرير والتنوير (12/ 66).

زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1]. والصحابة كانوا إذا سمعوا القرآن قالوا قد ازددنا إيمـانا، كقول معاذ بن جبل للأسود بن هلال: اجلس بنا نؤمن ساعة[2]، مع أن الزيادة في الإيمـان والنقصان منه موضع تخبط بين الناس وإطناب وإيجاز. والقول فيه أن الإيمـان الذي هو نفس التصديق ليس مـمـا يقبل الزيادة والنقص في نفسه، وإنمـا تقع الزيادة في المصدق به، فإذا نزلت سورة من الله تعالى حدث للمؤمنين بها تصديق خاص لم يكن قبل، فتصديقهم بمـا تضمنته السورة من إخبار وأمر ونهي، أمر زائد على الذي كان عندهم قبل، فهذا وجه من زيادة الإيمـان.

ووجه آخر أن السورة ربمـا تضمنت دليلاً أو تنبيهاً عليه فيكون المؤمن قد عـرف الله بعدة أدلة، فإذا نزلت السورة زادت في أدلته، وهذه أيضاً جهة أخرى من الزيادة، وكلها خارجة عن نفس التصديق إذا حصل تامـا، فإنه ليس يبقى فيه موضـع زيـادة. ووجـه آخر من وجوه الزيادة أن الرجل ربمـا عارضه شك يسير أو لاحـت لـه شـبهة مـشغبة فإذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهة واستراح منها، فهذا أيضاً زيادة في الإيمــان إذ يرتقي اعتقاده عن مرتبة معارضة تلك الشبهة إلى الخلوص منها.

وأمـا على قول من يسمي الطاعات إيمـاناً وذلك مجاز عند أهل السنة فتترتب الزيادة بالسورة إذ تتضمن أوامر ونواهي وأحكامـا، وهذا حكم من يتعلم العلم في معنى زيادة الإيمـان ونقصانه إلى يوم القيامة، فإن تعلم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة القرآن[3]. وفي هذا الصدد كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز قائلا: «إن للإيمـان سننا وفرائض من استكملها فقد استكمل الإيمـان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمـان»

---

(1) سورة الأنفال: الآية 2.

(2) صحيح البخاري:(1/ 11) كتاب الإيمـان، باب الإيمان.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/ 99).

قال عمر بن عبد العزيز: «فإن أعش فسأبينها لكم وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص». وقال ابن المبارك: لم أجد بدا من أن أقول بزيادة الإيمان وإلا رددت القرآن[1]. هذا هو محمل ما ورد في الكتاب والسنة من إضافة الزيادة إلى الإيمان وكذلك ما يضاف إلى الكفر والنفاق من الزيادة، كقوله تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾[2]. وإلى هذا المحمل يرجع خلاف الأيمة في قبول الإيمان الزيادة والنقص فيئول إلى خلاف لفظي[3]. ومن هنا فلا وجه للاختلاف في هذه المسألة بعد تصريح الله جل وعلا بذلك في كتابه في آيات متعددة[4] كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾[5]. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[6]. لأن الله علم أن السكينة إذا حصلت في قلوبهم رسخ إيمانهم، فعومل المعلوم حصوله من الفعل معاملة العلة وأدخل عليه حرف التعليل وهو لام كي وجعلت قوة الإيمان بمنزلة إيمان آخر دخل على الإيمان الأسبق لأن الواحد من أفراد الجنس إذا انضم إلى أفراد أخر زادها قوة فلذلك علق بالإيمان ظرف (مع) في قوله ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ فكان في ذلك الحادث خير عظيم لهم كما كان فيه خير للنبي ﷺ بأن كان سببا لتشريفه بالمغفرة العامة ولإتمام النعمة عليه ولهدايته صراطا

(1) تفسير القرطبي (8 / 215).

(2) سورة التوبة: الآية 98.

(3) التحرير والتنوير (22/ 306).

(4) تفسير القرآن أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (6/ 235).

(5) سورة الأحزاب: الآية 22.

(6) سورة الفتح: الآية 4.

مستقيما ولنصره نصرا عزيزا، فأعظم به حدثا أعقب هذا الخير للرسول ﷺ ولأصحابه[1].

هذه الزيادة الإيمانية كانت تتم بمعية أنوار نبوة محمد ﷺ وتحت رعايته وتربيته قال تعالى﴿ لِّلهِ مَا فِے اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِے اِ۬لَارْضِۖ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِےٓ أَنفُسِكُمُۥٓ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اِ۬للَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَن يَّشَآءُ وَيُعَذِّبْ مَن يَّشَآءُۖ﴾[2].قال ابن عباس: «لما نزلت هذه الآية وقع في قلوبهم شيء، فقال لهم النبيعَلَيۡهِمُ السَّلَامُ: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا»، فَأَلْقَى اللهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَنْزَلَ: ﴿ءَامَنَ اَ۬لرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُومِنُونَۖ ﴾ إلى ﴿أَوَ اَخْطَأْنَاۖ﴾. قال «قَدْ فَعَلْتُ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً﴾، قال: «قَدْ فَعَلْتُ»، ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ إلى آخر السورة. قال: «قَدْ فَعَلْتُ»[3]. وقال سعيد بن مرجانة[4]: جئت عبد الله بن عمر، فتلا هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِےٓ أَنفُسِكُمُۥٓ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اِ۬للَّهُ ﴾ ثم قال: والله لئن أُخذنا بهذه الآية لنهلكن، ثم بكى حتى سالت دموعه وسُمع نشيجه. قال ابن مرجانة: فقمت حتى جئت ابن عباس فأخبرته بما قال ابن عمر وبما فعل، فقال: يرحم الله أبا عبدالرحمن، لقد وجد المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر فأنزل الله ﴿لَا يُكَلِّفُ اُ۬للَّهُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾، فنسخت الوسوسة وثبت القول والفعل[5]. قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وذلك أن قوله تعالى ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِےٓ أَنفُسِكُمُۥٓ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اِ۬للَّهُ﴾ معناه مما هو في وسعكم وتحت

---

(1) التحرير والتنوير (27/ 150).

(2) سورة البقرة: الآية 283.

(3) تفسير الهدايه إلى بلوغ النهايه (1/ 931).

(4) (تابعي توفي سنة 96هـ).

(5) المحرر الوجيز (2/ 531).

كسبكم، وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه. فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه الخواطر أشفق الصحابة والنبيﷺ، فبين الله تعالى لهم ما أراد بالآية الأولى وخصصها، ونص على حكمه أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها... وكان في هذا البيان فرَجُهم وكشف كربهم»[1].

ولذلك أمر الله المنافقين بأن يومنوا إيمانا كإيمان الصحابة رضوان الله عليهم، قال تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2] لأن إيمان الصحابة مرضي عنه، وهو الإيمان المنجي والنافع. وقد أمر الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما أمر به المنافقين فقال تعالى﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

❁ الشهادة الثالثة: زكى الله عباداتهم.

لقد خلد لنا القرآن الكريم حالات ونماذج من عبادة الصحابة رضوان الله عليهم، فمنذ وقت مبكر من البعثة المحمدية الميمونة أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقيام الليل﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا... ﴾ الآيات[4]. ورغم أن الخطاب خاص برسول الله ﷺ. ومع ذلك فإن الصحابة الكرام كانوا يحرصون على مشاركته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قيام الليل. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

(1) المحرر الوجيز (2/ 532).
(2) سورة البقرة: الآية 13.
(3) سورة البقرة: الآية 137.
(4) سورة المزمل: الآية 1.

ﵟأَلَّيْلِ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ أَلَّذِينَ مَعَكَۖﵞ. ولكن الله تعالى أشفق عليهم وخفف عنهم ورحمهم في أعذارهم فقال سبحانهﵟعَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ اَلْقُرْءَانِۖ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِے اِ۬لَارْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اِ۬للَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِۖ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۖ...ﵞ[1].

ووصف (طائفة) بأنهم ﵟمِّنَ أَلَّذِينَ مَعَكَۖﵞ، في عمل مما سيق له الكلام، أي المصاحبين لك في قيام الليل، لم يكن في تفسيره تعيين لناس بأعيانهم، وإنما كان عاما، ففي حديث عائشة في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان .

وصَدْر هذه الآية إيماء إلى الثناء على النبيﷺ في وفائه بقيام الليل حق الوفاء، وعلى الطائفة الذين تابعوه في ذلك. فالخبر بأن الله يعلم أنك تقوم مراد به الكناية عن الرضا عنهم فيما فعلوا[2]، لأن الصحابة كانوا حريصين كل الحرص على ملازمة كل المجالس النبوية، لدرجة أن البعض من المشركين استنكف من مجالسة الرسول ﷺ بحضور بعض ضَعَفة المسلمين، فطالبوه بإخلاء مجلسه منهم حتى يجلس إليه أشراف قريش وكبراؤها، وأنزل الله في هذا قرآنا يحذر من الاستجابة لهذا الطلب الاستكباري، وفي نفس الوقت يثني على الصحابة بملازمتهم لمجالس رسول الله ﷺ، فقال سبحانه: ﵟوَلَا تَطْرُدِ اِ۬لَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ

(1) سورة المزمل: الآية 20.
(2) التحرير والتنوير (30/ 279).

مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. وسماه طردا تأكيدا لمعنى النهي، وذلك لحكمة: كانت أرجح من الطمع في إيمان أولئك، لأن الله اطلع على سرائرهم فعلم أنهم لا يؤمنون، وأراد الله أن يظهر استغناء دينه ورسوله عن الاعتزاز بأولئك الطغاة القساة، وليظهر لهم أن أولئك الضعفاء خير منهم، وأن الحرص على قربهم من الرسول ﷺ أولى من الحرص على قرب المشركين، وأن الدين يرغب الناس فيه وليس هو يرغب في الناس كما قال تعالى﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

هذا وقد اجتمع في هذا الكلام خمس مؤكدات وهي (من) البيانية، و (من) الزائدة، وتقديم المعمول، وصيغة الحصر في قوله ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، والتأكيد بالتتميم بنفي المقابل في قوله ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ فإنه شبيه بالتوكيد اللفظي. وكل ذلك للتنصيص على منتهى التبرئة من محاولة إجابتهم لاقتراحهم[3]. والتقدير: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، فتكون من الظالمين، ما عليك من حسابهم من شيء فتَطرُدهم: آخِرُ الكلامِ لأَوَّلِه، وأوسطُهُ لِأوسَطِه[4]..

وقد بين الحق في آيات أخر أن طرد ضعفاء المسلمين الذي طلبه كفار العرب من نبينا ﷺ فنهاه الله عنه، طلبه أيضا قوم نوح من نوح، فأبى. قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَآ أَنَا

---

(1) سورة الأنعام: الآية 53.

(2) سورة الحجرات: الآية17.

(3) التحرير والتنوير (30/ 247).

(4) الهداية إلى بلوغ النهاية (3/ 2031).

بِطَارِدِ اِ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ إلى قولـه: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَنْ يَّنصُرُنِے مِنَ اَ۬للَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۖ﴾[1]. الآية، وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ اِ۬لْمُومِنِينَ ﴾[2]. وهذا من تشابه قلوب الكفار المذكور في قوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۖ ﴾[3] الآية[4].

ولم يكتف القرآن بنهي رسول الله ﷺ عن طردهم فقط، بل أمره ربه بأن يصبر نفسه معهم قال تعالى﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ اَ۬لذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَٰكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ اَ۬لْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْيَاۖ وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً ﴾[5]. فكان لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يبتدئون القيام [6].

⊛ الشهادة الرابعة: أثنى الله على جهادهم في نشر الدعوة والدفاع عنها.

لقد قدم الصحابة رضوان الله عليهم لهذه الغاية أقصى ما يستطيعون، وبذلوا كل ما يملكون، وضحوا بأنفسهم ونفائسهم. وحتى صفتا «الأنصار والمهاجرين» اللتان يسمى بهما الصحابة ويتَصَنَّفون تحتهما، إنما تشيران إلى جوانب من جهادهم في إقامة الدين وتثبيت أركانه وبناء دولته. فالمهاجرون هاجروا من ديارهم وأهليهم وأموالهم في سبيل الله. والأنصار استقبلوا وآووا ونصروا. فبهذا كان لهم شرف هذه التسمية القرآنية. قال تعالى﴿لَّقَد تَّابَ اَ۬للَّهُ عَلَى اَ۬لنَّبِےٓءِ وَالْمُهَٰجِرِينَ وَالاَنصارِ

(1) سورة هود: الآية 29.
(2) سورة الشعراء: الآية 114.
(3) سورة البقرة: الآية 118.
(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 479).
(5) سورة الكهف: الآية 28.
(6) تفسير القرطبي (6/ 339).

ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[1].

في غزوة تبوك كانت في فترة عصيبة جدا حيث الصيف اللاهب والثمار نضجت، كل شيء في المدينة يغري بالبقاء، في هذا الوقت، نادى المعصوم ﷺ للتوجه إلى تبوك رغم قلة المال والدواب والجمال والخيول، ولذلك سمي جيش هذه الغزوة بجيش العسرة، ومع ذلك استجاب الصحابة لذلك، ولسانهم يقول لبيك يارسول الله، حدّثنا ابن هشامٍ عن محمد بن إسحاق، قال: إنّ رسول الله أمر أصحابه بالتهيّؤ لغزو الروم، وذلك في زمانٍ من عُسْرة الناس، وشدّةٍ من الحرِّ، وجدبٍ من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يُحبّون المُقَامَ في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوةٍ إلا كنّى عنها، وأخبرَ أنه يريد غير الوجه الذي يَصْمِدُ له (أي يقصده)، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيّنها للناس، لبُعدِ الشُّقَّة (أي المسير)، وشدّة الزمان، وكثرة العدوّ، ليتأهّب الناس لذلك أُهبَتَه، فأمر الناسَ بالجِهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم[2].

حتى الآيات التي جاء فيها عتاب لهم أو لبعضهم شاهدة بعدالتهم حيث غفر الله لهم ما عاتبهم فيه وتاب عليهم قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] وتأمل ختام العتاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾، وهل بعد مغفرة الله من شيء؟

(1) سورة التوبة: الآية 117.
(2) سيرة ابن هشام (4 / 125).
(3) سورة الأنفال: الآيات: 67-69.

وهنا نفتح نافذة لقصة ثلاثة من الصحابة تخلفوا هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وصدقوا الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما جاء من غزوة تبوك، أخبروه بأنهم ليس عندهم عذر، والمنافقون الذين تخلفوا كذبوا وحلفوا، فالرسول ﷺ قبل منهم علانيتهم، وأوكل سرائرهم إلى الله. ومع ذلك هجرهم والمسلمون كذلك خمسين ليلة، لا يكلمونهم، ولا يردون عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولا يجيبون دعوتهم، ولما مضت أربعون ليلة أمرهم النبي ﷺ أن يعتزلوا نساءهم أيضا، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم الدنيا بأسرها.

هلال بن أمية ومرارة بن الربيع كل واحد منهم قعد في بيته يبكي، ولا يصلون مع الجماعة، مهجورون، وهذا فيه دليل أنه قد ـ في هذه الحالة ـ قد تسقط عنهم الجماعة.

وأما كعب بن مالك فكان أشب القوم، كان يطوف في الأسواق ويسلم، ولا أحد يرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت، حتى جاء إلى ابن عمه الذي هو أحب الناس إليه، فسلم عليه، فلم يرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقال: يا فلان ـ وهو أحب الناس إليه ـ أسألك هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ وكررها ثلاثا، فلم يرد عليه، حتى قال في الثالثة: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناه، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم. فجاءهم الفرج، وأنزل الله توبتهم من فوق سبع سماوات قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ.. ﴾[1]. وغير ذلك من الآيات الشاهدة بمغفرة الله لهم لما ارتكبوا من بعض المعاصي.

---

(1) سورة التوبة: الآية 118.

مشهد آخر يثني فيها الله على بعض أصحابه في غزوة الأحزاب أو الخندق صبروا أياما وهم يحفرون الخندق قال جل وعلا: ﴿وَلَمَّا رَءَا أْلْمُومِنُونَ أْلاَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا أْللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ أْللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمُۥٓ إِلَّآ إِيمَٰناً وَتَسْلِيماً﴾[1].

الحق منصور، ولكن لابد أن يسبق بابتلاء وتمحيص، سنة الله، ولن تجد لها تبديلاً. كما ابتلي المؤمنون في الأحزاب بما أخبر به ربنا في كتابه، ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنَ اَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ اِلاَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ اِلْقُلُوبُ اُلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ اِلظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ اَبْتُلِيَ أْلْمُومِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيداً﴾[2].

وقال: ﴿ أَلذِينَ اَسْتَجَابُواْ لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ اُلْقَرْحُ لِلذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ اَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

مدحهم لصبرهم، وروي أنه خرج في الناس أخوان وبهما جراحة شديدة وكان أحدهما قد ضعف، فكان أخوه يحمله عقبه ويمشي هو عقبة، ورغب جابر بن عبد الله إلى النبي ﷺ في الخروج معه فأذن له، وأخبرهم تعالى أن الأجر العظيم قد تحصل لهم بهذه الفعلة، وقال رسول الله ﷺ: إنها غزوة[4].

ومن هنا استحقوا من الله هذا الوصف الذي جاء فيهم في القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ اِلْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ

(1) سورة الأحزاب: الآية 22.
(2) سورة الأحزاب: الآية 10.
(3) سورة آل عمران: الآية 172.
(4) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 542).

بِاللَّهِ ﴾[1]. ووجه دلالة هذه الآية أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول، وهم الصحابة الكرام، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟

كما أنه لا يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[2] ـ أي عدولاً ـ[3]، وهم على غير ذلك، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم «خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق»[4]. يقول ابن عبد البر: «قد كوفينا البحث عن أحوالهم؛ بإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول»[5].

❁ الشهادة الخامسة: رضي الله عنهم ورضوا عنه.

في صلح الحديبية عندما اتجه المعصوم ﷺ مع أصحابه معتمرين لا يقصدون قتالا ولا إساءة إلى أي احد، ولما وصلوا إلى الحديبية كان المشركون قد شعروا بذلك وأرسلوا إليهم بأنهم سوف يقاتلونهم إن دخلوا، فتخلل ذلك مفاوضات وتوصلوا إلى صلح الحديبية.

---

(1) سورة آل عمران: الآية 110.

(2) سورة البقرة: الآية 143.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (2/ 154).

(4) الموافقات (4/ 450 – 452) بتصرف.

(5) الاستيعاب (1/ 8).

اقتضى أحد بنود هذا الصلح أن يرجعوا ولا يعتمرون، حتى السنة القادمة، ثم يعودوا بعد ثلاثة أيام، ثم شاع بعد ذلك مقتل سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ثم جاءت شهادة هؤلاء الذين بايعوا الرسول ﷺ على ذلك: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[1] وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]. وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]. وقوله: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4]. وقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[5].

ولعل أجمع آية في مدح الصحابة والثناء على صفاتهم التي اتصفوا بها، هي تلك الآيات التي نزلت جوابا على تساؤل بعض الصحابيات عن عدم ذكرهن في القرآن

---

(1) سورة الفتح: الآية 18.
(2) سورة المائدة: الآية 119.
(3) سورة التوبة: الآية 100.
(4) سورة المجادلة: الآية 21.
(5) سورة البينة: الآية 8.

كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى هذه الشهادة الجامعة لأوصاف الصحابة رجالا ونساء، ويدخل فيها من كان مثلهم من المؤمنين والمؤمنات[1] ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

وما هذه المنة من ربهم إلا بيان لعباده مؤمنهم وكافرهم إلى قيام الساعة؛ بعظم مكانة من اختارهم لصحبة سيد أنبيائه ورسله، وأن التجريح والقدح في تلك المكانة والعدالة إنما هو تجريح وقدح فيمن بوأهم تلك المكانة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

إنها شهادة من الحق سبحانه بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[3].

وبهذا يتم لنا القول في موضوع الصحابة في القرآن الكريم من خلال تفاسير علماء الغرب الإسلامي، فإن وفقت إلى ما إليه قصدت فالخير أردت، ولله الفضل والمنة، وإن كانت الأخرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فحسبي أن من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، والله المسؤول بمنه وكرمه أن يجبر خللي ويغفر زللي، ويخلص لوجهه عملي إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولا وأخيرا.

---

(1) الصحابة في القرآن (ص4).
(2) سورة الأحزاب: الآية 35.
(3) سورة الأنعام: الآية 19.

فهرس المصادر والمراجع

- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي، دار الجيل ـ طبعة 2، بيروت 1407هـ.
- الاستيعاب في تـمييز الأصحاب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، دار الجيل.
- أسد الغابة لابن الأثير، طبعة، دار الشعب.
- الإصابة لابن حجر العسقلاني، طبعة، دار الفكر بيروت لبنان 1398هـ/1978م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان.
- تاريخ الأمم والملوك للإمام المجتهد الحافظ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة 1407/1هـ دار الكتب العلمية بيروت.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس/1997م.
- تفسير أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- تفسير البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، دار النشر، دار الفكر.
- تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة، دار النشر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الغرناطي الناشر، دار الأرقم.
- تفسير القرآن محي الدين محمد بن على المعروف بابن عربي الطائي المالكي.
- التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، لأبي عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، دار إحياء التراث العربي.

- تفسير ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، طبعة دار، طبعة يبة.
- تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف أبي محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي الغرناطي الحافظ القاضي، دار النشر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ/1993م.
- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية أبو محمد مكي بن أبي، طبعة البحَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429هـ/ 2008م.
- الجامع لأحكام القرآن القرطبي الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية الطبعة: 1423هـ/2003م.
- الجامع لشعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي مكتبة الرشد.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين، الخضيري، المعروف بـ: جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت/1993م.
- سنن أبي داود.
- السيرة النبوية عبد الملك بن هشام المعافري، دار الجيل ـ بيروت/1411هـ الطبعة الأولى، تحقيق عبد الرءوف.
- صحيح البخاري.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير الإمام عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب.
- كتاب العين، الخليل الفراهيدي: مؤسسة النشر الإسلامي قم 1414هـ/ ط1.
- لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، طبعة 1، دار صادر بيروت.

- معجم الطبراني الكبير سليمـان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطـبراني مكتبـة العلـوم والحكم ـ الموصل.
- مفتاح، دار السعادة. ابن قيم الجوزية الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني المكتبة المرتضوية 1373هـ
- الموافقات في أصول الفقه وحكم الشريعة وأسراره للامام أبي إسحق ابراهيم ابن موسى ابن محمد اللخمي الشاطبي ثم الغرناطي، طبعة: المطبعة التجارية الكبرى مـصر وعليهـا شرح للشيخ عبد الله دراز.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، أبو محمد مكي ابن أبي، طبعة البحَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القـيرواني ثـم الأندلـسي القـرطبي المـالكي. الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الـشريعة والدراسـات الإسـلامية، جامعـة الشارقة، الطبعة: الأولى/1429 هـ 2008م.